كافة أعماله نحو تحقيق هذا الهدف » وامتنع عن دفع الجزية وطرد الوالى وصك العملة باسمه وأعلن الاستقلال .

كيف تم الاستقلال :

كنا إلى عهد قريب ، نقرأ فى كتبنا أن محمد على باشا هو أول من استقل بحكم مصر ، وأول من نزع عنها رداء التبعية للدولة العثمانية ، وحقق لها كيانا مستقلا عن دولة الخلافة ، وكان الملق لأسرة محمد على هو السبب فى هذا الخطأ ، بل وإنكارنا كل فضل لمن قبله من الحكام . وتناسينا فضل المحسن من الحكام السابقين ، وبالغنا فى ذكر مساوئهم ومفاسدهم كأنهم أساءوا لمصر بأكثر مما أساء غيرهم . لقد زيف تاريخ مصر واعتبر لمحمد على الفضل فى الاستقلال ، بينما لم يكن استقلاله كاملا ، لأن مصر ظلت تدفع الجزية المقررة عليها للآستانة حتى سنة ١٩١٤ حينما فرضت إنجلترا الحماية على مصر أثناء الحرب العالمية الأولى وقطعت آخر صلة تربط مصر بالآستانة ، فى حين أن على بك أعلن استقلال مصر جهارا وامتنع عن دفع الجزية ، ومنع الدعوة للسلطان فى المساجد ، وطرد الوالى ، وصك العملة باسمه ، ولولا خيانة مملوكه وقائد جيوشه محمد بك أبو الذهب ودسائس الدولة التركية لما فقدت مصر استقلالها هذا ، ورب قائل يقول : (إن على بك لم يكن مصريا كغيره من المماليك ، ولكن الجواب على ذلك : أن المماليك كانوا يرون أنفسهم أنهم مصريون، وكان المصريون يرونهم كذلك، ويسمونهم الأمراء المصرالية، ونحن مع ذلك نستطيع أن نقول أن على بك كان أقرب إلى مصر وأهلها من محمد على الذى نعرف وطنه وكيف قدم إلى مصر